Arrasikhun International Journal, Volume 3, Issue 2, Jan 2018
ISSN: 2462-2508

اللغة العربية بين تداعيات الحاضر، وتطلعات المستقبل– الازدواجية ومزاحمة العامية نموذجًا

Arabic language between the repercussions of the present, and the aspirations of the future

Duality and the vernacular rivalry model

الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد شحاتة عبد الحميد الشرقاوي
Assoc. Prof. Dr. Mohamed Shehata Abdel-Hamid El-Sharkawy

الأستاذ المشارك الدكتور/ أشرف حسن محمد حسن.
Assoc. Prof. Dr. Ashraf Hassan Mohamed Hassan

الملخص

مما لا شك فيه أن اللغة العربية إحدى مقومات الهوية الثقافية العربية، فهي لغة القرآن الكريم نزل بها ليكتب لها الخلود؛ وبها تقام العبادات، وهي من رموز وحدة المسلمين. وهناك عداء للإسلام، وللغة الإسلام والقرآن؛ يتجلي في محاربة أعداء الإسلام للفصحي، من خلال الدعوة لأن تكون العامية لغة الكتابة والتعامل والأدب وغيرها، وهناك تداعيات في كثير من الجوانب. ومن ثم جاء هذا البحث:" اللغة العربية بين تداعيات الحاضر وتطلعات المستقبل" الازدواجية ومزاحمة العامية نموذجا ..؛ للفت النظر إلى ما تعانيه اللغة، ووضع بعض الحلول للمشكلات التي تواجه اللغة؛ للوقوف على مستقبل لغوي أفضل.

الكلمات المفتاحية:

اللغة العربية– الازدواجية اللغوية – مزاحمة العامية – الصراع بين الفصحى والعامية – مظاهر تردي اللغة العربية . مستقبل اللغة.

Abstract

There is no doubt that the Arabic language one of the elements of the Arab cultural identity, It is the language of the Koran to write down by her immortality And the acts of worship are held One of the symbols of the unity of Muslims, There is hostility to Islam, and the language of Islam and the Koran, Manifested in the fight against the enemies of Islam to classical, Through the call because the vernacular are writing, dealing, literature, and other languages, and There are repercussions in many aspects. And then came this research: Arabic language between the repercussions of the present and future aspirations: "Duplication and crowding out the vernacular model" To draw attention to what ails the language, And put some solutions to the problems facing the language, To stand on the future of the language better.

key words;

Arabic Language- Bilingualism- Colloquial crowd out- The conflict between classical and vernacular- Manifestations of the deterioration of the Arabic language- The future of the language.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين. أما بعد فإنه مما لا شك فيه أن اللغة العربية إحدى مقومات الهوية الثقافية العربية، وإذا كانت اللغة عموما تعد وسيلة من وسائل الاتصال والتعبير الإنساني وهي ذات أهمية بالغة في المجتمع، فإن اللغة العربية تأتي أهميتها من أنها لغة القرآن الكريم؛ بها تقام العبادات ويتلى بها القرآن، ويتقرب إلي الله بها، وهي من رموز وحدة المسلمين، وبها نزل القرآن ليكتب لها الخلود.

وإذا كان العداء للإسلام موجودًا ومستمرًا حتى قيام الساعة، فالعداء للغة الإسلام والقرآن موجود ومستمر كذلك، ونجد أهم مظاهره في محاربة أعداء الإسلام للفصحي، وهناك ممن ينتسبون للإسلام من يسير خلف هذه الدعوات فيدعو لأن تكون العامية لغة الكتابة والتعامل والأدب وغيرها، وهناك تداعيات كثيرة وتأثير على لغة القرآن في كثير من الجوانب.

وها أنا ذا أضع بين يدي القارئ هذا البحث:" اللغة العربية بين تداعيات الحاضر وتطلعات المستقبل"؛ لعلي ألفت نظره واهتمامه إلى ما تعانيه اللغة، ولعلي أن أضع حلا لبعض التداعيات التي تواجه اللغة حاليا حتى يشرق المستقبل اللغوي بسام المحيا.

أوّلا: إشكالية البحث: تكمن إشكالية البحث في وصف واقع اللغة الحالي من ازدواجية لغوية من جانب، ومزاحمة العامية لها من جانب آخر، وبيان مشكلة ضعف العربية في واقع الأمة العلمي والثقافي.

ثانياً: أهداف البحث: إبراز أهمية ما تعاني منه اللغة وتقاسيه في حاضرها من ازدواجية لغوية، ومزاحمة العامية لها.

التنبيه على الأخطار المتعددة علي ناطقي العربية من الاستعمال الخاطئ للغة.

ثالثاً: أسئلة البحث: يحاول البحث الإجابة عن بعض الأسئلة منها:

1. معني الازدواجية، وما طبيعة تحديها للعربية.
2. ما مفهوم الصراع بين الفصحى والعامية.
3. ما هي خطورة العامية، وخطورة الترويج لها.
4. ماهي مظاهر تردي اللغة العربية؟
5. كيف نجعل مستقبل اللغة أفضل؟ وكيفية النهوض؟

رابعاً: أهمية البحث: تتضح أهمية البحث في وصف بعض ما وصل إليه حال اللغة من خلال الوقوف على واقعها، ومحاولة إيجاد حلول لبعض المشاكل التي تنتابها، ومحاولة النهوض بها من كبوتها.

خامساً: منهج البحث: فرض المنهج الوصفي التحليليّ نفسه على هذا البحث.

أهداف البحث المتوقعة: إيجاد بعض الحلول لبعض المشاكل التي تنتاب اللغة؛ كمزاحمة العامية لها، والازدواجية اللغوية.

الازدواجية اللغوية.

لا شك أن لغة الأمة وثقافتها هما المكون الرئيس لملامح هويتها وقسماتها، والناظر للغة العرب قديما وحديثاً يجد بوناً شاسعاً وفرقاً كبيراً بين ماضيها التليد وحاضرها المريض الذي يشهد تخلف العربية الفصيحة وانحصار استخدامها في المحافل الأدبية والثقافية والمعاملات الرسمية.

فاللغة في ماضيها المقدس الأصيل ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالدين، فالدين يعتبر من أقوى العوامل وأعمقها تأثيراً في اللغة حينما كانت لغة القرآن، والقرآن الكريم حينما أنزل باللغة العربية ضمن لها الخلود والحفظ هذا أولاً.

وثانياً: أعطى نموذجاً جديداً وممتازاً لهذه اللغة دفعها إلى حضارة جديدة، ومن الطبيعي أن تتطلب هذه الحضارة الإسلامية الجديدة مادة لغوية جديدة وجدها العلماء في تلك الثروة اللفظية الضخمة، وقد أثر الدين في نمو الثروة اللغوية وتطورها [1].

ونادى بعضهم بتيسير النحو في خلال إبعاد التأويلات المنطقية والفلسفية وإلغاء العامل والعلة والقياس المنطقي حتى أصبحت هذه الدعوات منهجاً للتأليف وسميت عند النحاة المحدثين بتيسير النحو، غير أن هذا لا يعني أن علماء العربية القدامى لم يكن لهم نصيب في هذا الاتجاه، بل إن بعضهم له جهود واضحة في هذا الأمر، ولعل اختلاط النحو بالمنطق أدى إلى الصعوبة والتكليف في وضع قواعد العربية، فالنحاة واللغويون اتفقوا في إثبات التأثير الفلسفي في نشأة النحو العربي، وعلى الرغم من أخذ النحاة بالمنطق اليوناني انقسموا فيه قسمين: فسم شرح كلامه بالمنطق كالرماني (ت 384 هـ) الذي قال فيه أبو علي الفارسي (ت 377 هـ) (إن كان النحو ما يقوله أبو الحسن فليس معنا شيء، وإن كان النحو ما نقوله فليس معه منه شيء)[2]، وقسم معتدل في أخذه منه كالسيرافي (ت 368 هـ).

بعد هذا كله بدأت الحاجة إلى التأليف، فالقواعد لم تنشأ مقصورة لذاتها لكنها نشأت بعد تمعن وإطالة فكر في الوسائل التي تحافظ على سلامة العربية من الخطأ، فبدأ التأليف في النحو وظهر لنا نوعان من التأليف:

ما يعرف بالكتب المطولة وهي كتب ذات موضوعات متنوعة ومختلفة كالكتاب لسيبويه (ت 180 هـ) والمقتضب للمبرد (285 هـ).

كتب مختصرة تسمى كتب المختصرات أرفقت في ظهورها الكتب المطولة، وكانت الغاية من ظهورها عدم الاعتماد على الكتب المطولة في تعليم النشء القواعد وعدم الإفراط في

(1) واللغة العربية في ذاتها لغة قومية وبعد انتشار الإسلام واتصال العرب بغيرهم من الأقوام ظهرت الحاجة إلى صيانة اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) من التحريف واللحن والتصحيف، فانبرى بعض العلماء إلى التصدي لحل هذه المشكلة التي جعلت من الدرس النحوي من الصعوبة بمكان لا يستسغه المتعلم فألفوا كتباً تحمل من البساطة واليسر ما يسهل على متعلمي اللغة العربية الأخذ بها ومن تكلف أو تقيد. المولد في العربية دراسة من ثمر اللغة وتطورها بعد الإسلام د. حلمي خليل – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان ط (2) – 1985 – ص 34، وينظر: العربية بين الأصالة والمعاصرة – د. هالة جعفر العبوشي ص 4 بتصرف.

(2) الأنباري أبو البركات – نزهة الأنباء في طبقات الأدباء ص 213.

القياس والعلل والتأويل والتعليل من الحشو والتطويل في الكلام. والذي يبدو أن ظهور كتب المختصرات جاء رد فعل إيجابي لتسهيل التعلم وتخليصه من الالتباس وجعل القواعد العربية أقل صعوبة مما يسهل على التلميذ أمر تعلم القواعد.

وتعد مقدمة خلف الأحمر (ت 180 هـ) رائدة في عملية تيسير النحو ولو بصورة مبسطة، وهي أقدم ما وصل إلينا من المصنفات المختصرة [1].

وعلى أية حال (نجد قوماً) عبر التاريخ الطويل رعنوا بلغتهم كالعلماء العرب القدماء الذين أسسوا النحو لحفظ اللسان من الخطأ، وللحفاظ على سلامة نص القرآن الكريم، فنجد آلاف المجلدات التي تتناول علوم النحو والصرف العربية؟ كما أسسوا علوم البلاغة لتحديد مواصفات البيان لدى التخاطب واستعمال اللغة لغاية جمالية، فأوفرت رفوف المكتبات بما ألفوا، وغير أن كل ذلك لم يك إلا من حكم الماضي، إذ شيئاً فشيئاً أو بفعل التخلف الذي طاول العرب في حقبهم الأخيرة من التاريخ خصوصاً، أصبحوا يتحدثون شيئاً من العربية مسيئين لنطقها واستعمالها، بل تعدى الأمر ذلك لرؤية مشوهة مؤداها أنه ليس من المجدي أولاً من الضروري ضبط نطقها واستعمالها استعمالاً نحوياً دلالياً أسلوبياً صحيحاً: أي استعمالاً مطابقاً لنظامها العام بحيث لا يقعون في اللحن مع أن ارتكاب اللحن كان عند الأجداد معادلها لارتكاب الإثم قيل للحسن البصري: "إن إمامنا يلحن، فقال: أخروه"[2].

(1) الأحمر خلف، مقدمة في النحو: ص 42.

(2) أبو الفتح ناصر المطرزي المتوفى 610 هـ، المغرب في ترتيب المغرب ج2، ص 456.

الازدواجية اللغوية وتحديها للعربية [3]:

تعد الازدواجية بين اللغة العربية الفصحى والعامية أو غيرها من اللغات على لسان المتكلمين من عوامل الخطأ اللغوي.

ولقد عاشت اللغة العربية قرونا من الرقي والازدهار؛ حينما كانت في وجدان وخاطر أبناءها أما وقد وضعت في أدني مرتبة لها بين أبناءها فلن ينتظر لها تقدم أو رقي، وهناك من أبناءها من يري أن اللغة مجرد أداة ووسيلة للتفاهم والتعلم، وطالما حدث هذا التفاهم والتعلم بغيرها؛ فقد ثبت المطلوب في نظرهم، وبالتالي يكون من قبيل التعصب المطالبة القومية بأن تكون هي اللغة الرئيسة في التعامل بين أفراد المجتمع ويقتصر عليها في جميع مراحل التعليم وتخصصاته المختلفة [4].

ولا يخفي أن هناك حقد غربي تعود جذوره إلي أيام الاستعمار ؛حينما احتلت الدول الأجنبية البلاد العربية وحاولت ربط

(3) تباينت آراء اللّسانيين حول مفهوم مصطلح (الازدواج اللغوي) فبعضهم يطلقه على وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، أي لغة للحديث وأخرى للعلم والأدب والثقافة والفكر، وبعضهم يطلقه على وجود لغتين مختلفتين (قومية وأجنبية) عند فرد أو جماعة ما في آن واحد. ويقصد بـ "ازدواجية اللغة "وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما أو جماعة لغوية معينة في آن واحد، ولكنّ بعض الباحثين يرفضون استعمال مصطلح " الازدواجية " الذي يستخدمه الكثير من اللغويين للدلالة على شكلي اللغة العربية: الفصحى والعامية. ذلك أن العامية والفصحى فصيلتان من لغة واحدة، والفرق بينهما بالتالي فرق فرعي، لا جذري، وعليه فالازدواجية بمفهومها المصطلحي لا تكون إلاّ بين لغتين مختلفتين (الفرنسية والعربية)، أو (الألمانية والتركية) مثلاً. أما على المستوى الشخصي فالازدواجية اللغوية هي القدرة على التعبير السهل والصحيح للغة الأجنبية.

(4)واقع اللغة العربي في البلدان الإفريقية ،مقال منشور بالشبكة العنكبوتية.

تلك الشعوب التي احتلتها بلغة المستعمر كبريطانيا في مصر والعراق ،وفرنسا في المغرب ،وبعض البلاد الإفريقية ،وإيطاليا في ليبيا ولعل سبب هذا الحقد يرجع إل أن العربية شهدت خلال تاريخها فترات من الازدهار والانتشار تخطت فيها حدود مجالها العربي إلي أفاق ومناطق أرحب وأوسع ، وخاصة في بلدان القارة الإفريقية، وقد تمتعت اللغة العربية بوَضْع ومكانة متميزة على الخريطة اللغوية لإفريقيا؛ حيث استقرت العربية في غالبية أنحاء إفريقيا منذ وقت طويل، يسبق دخول أي لغة من اللغات الأوربية إلى إفريقيا، وتحدث بها عددٌ كبير من الأفارقة، وانتشرت بينهم انتشارًا كبيرًا، وقد ترسَّخت هذه المكانة بشكل خاص في غالبية دول شرق إفريقيا وغربها، بينما تتراجع هذه المكانة تدريجيًّا كلما اتجهنا صوب وسط القارة وجنوبها"[1].

وفي هذا الانتشار الواسع للغة العربية قد كان للإسلام الدورُ الأبرز؛ حيث سارت العربية مع الإسلام جنبًا إلى جنب، وحلَّقت معه أينما حل، وحيثما ارتحل؛ فاستُخدِمت العربيةُ في أداء العبادات والشعائر الدينية لمن يعتنق الإسلام، وازداد إقبال معتنقي الإسلامِ على تعلُّمها؛ رغبةً في التعمُّق في الدِّين، عن طريق الرجوع لمصادره الأساسية عبر قراءة ومدارسة مصنَّفات الفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم الشرعيَّة، وقد أدَّى هذا الارتباط الوثيق بين اعتناق الإسلام وتعلُّم العربية إلى أنه جعَل للعربية درجةً من الانتشار في كل المناطق التي تضم جماعات مسلمة، كما كان للهِجرات العربية لإفريقيا دورٌ في نشرِ اللغة العربية، كذلك كان للتجَّار وللطُّرق الصوفية وللدعاة وللمعلمين جهودٌ صادقة في نشر الإسلام واللغة العربية في إفريقيا؛ وذلك عن طريق السُّلوك القويم، والقدوة الحسنة، والدعوة الصادقة، والتعليم؛ حيث قاموا بإنشاء المساجد، وفتح المدارس في كثير من البقاع، كما أنهم صاهَروا أهل البلاد واندمجوا فيهم [2].

إلا أن هذا الرقي الباهر جاء بعده تضعضعٌ للغة العربية وانحدار ليس عائدًا إلى عينِ اللغة، بل إلى المنتسبين إليها، مما جعلها تتقلَّص وتهان حتى في عقر دارها، ولله درُّ حافظ إبراهيم إذ يقول على لسان اللغة العربية:

رَجَعْتُ لنفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي* وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي**

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي * عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي**

وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي * رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي**

وَسِعْتُ كِتابَ اللهِ لَفظًا وَغَايَةً * وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ**

فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلةٍ * وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ**

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ* فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي**

فيا وَيْحَكُم أبلى وتَبلى مَحاسِني * ومنكُمْ وإنْ عَزَّ الدواءُ أُســـاتِي**

فلا تَكِلُوني للـــــزمانِ فإنني * أخافُ عليكم أن تَحِينَ وَفـــاتِي**

أرى لرِجالِ الغَربِ عِزًّا ومَنعَةً * وكم عَزَّ أقوامٌ بعِزِّ لُغـــــــاتِ**

أتَوْا أهلَهُم بالمُعجِزاتِ تَفَنُّنًا * فيا ليتَكُمْ تأتـــــونَ بالكلِمَاتِ**

أيُطرِبُكُم من جانِبِ الغَربِ ناعِبٌ* يُنادي بِوَأْدي في رَبيعِ حَياتِي [3]**

الصراع بين الفصحى والعامية:

(1)واقع اللغة العربي في البلدان الإفريقية ،مقال منشور بالشبكة العنكبوتية.

(2) اللغة العربية وتحديات العولمة الواقع والحلول في البلدان الإفريقية ،مقال منشور بالشبكة العنكبوتية.

(3).حافظ إبراهيم، الديوان.

شهدت اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي امتزاجاً واضحاً بين هذه اللهجات العربية واللغة الأمّ للبلدان المفتوحة، فنجم عن ذلك احتكاك وتفاعل بينهما، ومثال ذلك احتكاك اللسان العربي بالآرامية في العراق والشام وبالقبطية بمصر والبربرية بشمال افريقيا ممّا أدى إلى ظهور أشكال صوتية وتعبيرية لا قبل للعرب بها، وبذلك أصبح للعرب ما اصطلح على تسميته بلغة الخاصة وهي لغة العرب، ولغة العامة وهي لهجة المولّدين اللاّحنة.

إنّ المتكلّم الذي يعمد إلى توظيف الشكل اللساني العامي سيحاول أن يتفادى ضوابط اللغة العربية المعيارية بنحوها وصرفها ،وتراكيبها ودلالتها ،لما يحققه هذا الشكل التواصلي من اقتصاد في الكلام ،وخفة في الإلقاء ،ومزيد من المعلومات بأيسر الطرق ،ممّا يؤدي إلى تقلص واضح لمساحة اللغة الفصحى، فلا عجب أن أصبحت اللهجات العامية تزاحم اللغة الفصيحة في مقامات مختلفة حتى في عقر دارها ،بل يجري الحديث الآن في المجتمعات العربية عن خلافٍ بين اللغويين والأدباء والإعلاميين والأكاديميين حول موقعية هذا التّنوع اللساني في الوقت الحاضر في ظل العولمة (Medialization) ممّا أدى إلى بروز شكل تواصلي جديد يجمع بين الفصحى والعامية .ومن هنا تطرح العديد من التساؤلات حول مستقبل اللغة العربية الفصيحة في ميدان الإعلام والتواصل ؟

إنّ الازدواجية اللغوية (Bilinguisme) هي حالة الفرد والجماعة في «استعمال لغتين دون تفضيل لإحداهما على الأخرى [1].

أما صاحب الموسوعة الجغرافية فيذهب إلى أنّ الازدواجية هي الوضع الذي توجد فيه لغتان في البلد نفسه إحداهما لغة الأغلبية، والأخرى لغة الأقلية ولهما نفس الوضع القانوني والإعلامي وكذلك في الدوائر الحكومية مثال ذلك بلجيكا كندا، سويسرا(...) ودول المغرب العربي، وجمهورية جنوب افريقيا [2]

أما جورج مونان (G-Mounin) فيعرفها بأنّها «قدرة الفرد في استعمال لغتين.» [3]

إنّ شيوع العامية وانتشارها في الأوساط الاجتماعية، وحتى المثقفة أحيانا في أغلب البلاد العربية جعل الجدال قائما حول الصراع بين الفصحى والعامية منذ بداية عصر النهضة في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي. فهناك من دعا إلى اتخاذ العامية لغة قومية محل الفصحى، واقترح رسمها بحروف غير عربية. وهناك من دعا إلى الحفاظ على الفصحى والإبقاء على رسمها، والتقريب بينها وبين العامية وفق نموذج غربي. وآخر دعا إلى الحفاظ على الفصحى والاعتداد بتغيير معجمها

1- Marouzeau le bilinguisme précoce (charles Dessart ;Bruxelles1974) ;P12

(2). André Louis Sanguin les aires linguistiques en encyclopédie de géographie (Economica ;Paris ;1995) ;P903

(3). Georges Mounin Dictionnaire de la linguistique ;P52

وبعض أساليبها، والإبقاء على رسمها وتطويره لتلائم العصر التكنولوجي، وفق مخطط لغوي قومي، بحيث تكون لغتنا وافية بمتطلبات الحياة المعاصرة والمستقبلية. فهي «بالنسبة للمتكلم إنّما هي معايير تراعى، وبالنسبة للباحث ظواهر تلاحظ [1].

ويبدو أنّ كلّ المؤشرات تدل على استمرار هذا الجدال محتدما في المستقبل القريب، إذا لم يبادر العرب إلى اتخاذ قرارات حاسمة، وجازمة للنهوض بهذه اللغة.

لقد بات من المؤكد الآن أن نسجل بكل روح موضوعية وانتقاد ذاتي هذا الواقع المرّ الذي تعيشه اللغة العربية ،إذ أصبح «مشخصاً في أهل الحلّ والعقد الذين يقسمون على احترامها ممّا هو مشخص في اللغة نفسها أو في الطبقات الشّعبية التي اشتقت من هذه الفصحى مستويات لهجية خطابية شتى حتى أضحت كل لهجة من هذه اللهجات العربية التي لا يجد ديالكتولوجي عربي مختص جرأة في نفسه للإفصاح لنا عن كمّها ونوعها أشد صلةً ورحماً بالفصحى منها فيما بينها وبين نفسها ،سواء تعلق الأمر بالمشرق أم بالمغرب ،بل حتى ببلد عربي واحد ،ولو أن ما يعرف بجامعة الدول العربية سجلت موقفا تاريخيا واحدا يجمع شمل أشتات هذه اللغة، وسنّت قانونا مشتركا ملزما لاحترامها لكنا نسجل اليوم لهذه الهيئة امتناناً عظيما ،واحتراما كبيرا ،لأن اللغة أكثر إلزاما للسياسي الرسمي منها لمواطن عادي لا يمثل إلا نفسه ،ولا يأبه به أحد إذا تكلّم (...) فعلى كثرة اللهجات الفرنسية التي لا تزال حية متداولة بين أصحابها ،فإني لم أر ولا سمعت في حياتي جملة من هذه اللهجات في قناة فرنسية رسمية »[2].

من خلال هذا الطرح الموضوعي للإشكالية اللغوية في الوطن العربي على وجه الخصوص، يبدو أن اللغة العربية في موقف لا تحسد عليه، فهي الآن تئن تحت وطأة تراكمات ونظريات أفرزتها قرون من العمل والبحث فيها دون طائل إلى درجة التساؤل أحيانا عن جدوى وجود مدارس وجامعات ومراكز بحث تتعاضد كلها في السهر على تبليغ هذه اللغة تبليغا موحدا على مستوى كل البلاد العربية من المحيط إلى الخليج.

أم لسنا نتعلم لغة واعية تكاد تكون غريبة عن لغة الأمومة التي اكتسبناها منذ نعومة أظافرنا بصورة لا واعية؟ [3].

ثمّ هل ما تقدّمه وتلقنه هذه المدارس كفيل بأن يمحوَ أثرا من آثار هذه المئات أو الآلاف من اللهجات العربية العامية؟ وهل ما يجاز به هذا المتعلم أو ذاك هنا وهناك تكون له آثار تنعكس حمدا على العربية الفصحى في حياة العرب اليومية في الشارع والملعب، والسوق والمطبخ والإدارات العمومية؟

وهل صحيح ما يُشاع على أنّ الحياة التي عاشها العرب من حلّ وترحالٍ كان لها الأثر البالغ في ظهور هذا الاختلاف اللهجي اسقاطاً على ما ذهب إليه أحمد حسن الزيات في قوله: «فإنّ العرب كانوا أميين لا تربطهم امارة ولا دين، فكان من الطبيعي أن ينشأ من ذلك ومن اختلاف الوضع والارتجال، ومن كثرة الحل والترحال، وتأثير الخلطة والاعتزال،

(1).تمام حسان اللغة بين المعيارية والوصفية (القاهرة ،1958) ،ص3

(2).عبد الجليل مرتاض في رحاب اللغة العربية ، ص29

(3).عبد الجليل مرتاض ،المرجع نفسه ،ص 30

اضطراب في اللغة كالترادف واختلاف اللهجات في الابدال والاعلال والبناء والإعراب وهنات المنطق كعجعجة قُضاعة، وطمطمانية حِمْيَر وفحفحة هذيل، وعنعنة تميم، وكشكشة أسد، وقطْعَةِ طيء وغير ذلك » [1].

خطورة العامية والترويج لها بديلا عن الفصحى:

هناك كتاب قد أعطى هذه القضية حقها، وهو كتاب الدكتورة نفوسة زكريا سعيد (مدرسة بكلية الآداب جامعة الإسكندرية)، وعنوانه «تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر» [2]، والبحث قد تناول القضية من جوانبها، ويعنيني هنا فقط تسجيل بعض الأمور باختصار:

أولها: مصدر هذه الدعوة هو الغرب، وهذا مثبت ومدلل عليه بالمصادر في بحث الدكتورة نفوسة زكريا. والغرب كان وراء الخطوط الرئيسية لحركة التغريب، وكانت منه البدايات، ولا زال حاضراً يمد القوم بما في يستطيع من أسباب.

ثالثها: تبني العامية من قبل مسلمين أو عرب جاء بعد أن تحدث الغربيون، فكان تأثراً بهم، أو حملاً لأجندتهم.

فبذات الآلية: بدأ المستشرق، ثم جاء التبع من «أبناء» هذه الأمة الإسلامية، فأحدثوا بلبلة في الداخل الإسلامي، وتم تصدير خطابهم المغلوط للخارج، والمحصلة، انشغال في الخارج وفساد دعوة الخارج.

رابعها: الخط الرئيسي الذي سار عليه الغرب هو تطوير المفاهيم الإسلامية بهدف قطعنا عن ماضينا، وبهدف تفتيت وحدة العالم الإسلامي. وبهدف إيجاد تفاهم بين العالم الإسلامي والغربي بعد قطعه عن ماضيه، يلغي هذا التفاهم العداوة التاريخية القائمة على أساس ديني بين الشرق والغرب، ولا مانع من إقامة العداوة بين أجزاء من العالم الإسلامي (بعد تقطيعه) بشكل مستقل، وعلى خلفيات أخرى غير دينية.

وهو ما تم بالفعل، والحال شاهد عيان.

وكان الهدف من دراسة العامية هو تطوير لغة المسلمين لإقصاء الفصحى لغة القرآن الكريم واللغة التي دونت بها الشريعة الإسلامية، وهذا يؤدي –حتماً– إلى قطع المسلمين عن ماضيهم، وإلى تفتيت وحدة العالم الإسلامي، فكل قطر يتحدث بلغة خاصة به، كما حصل مع أوروبا، والخطر في قبول مبدأ التطوير(3).

إذ أن فكرة تطوير الدين فكرة خاطئة تفقد الدين خاصيته الأولى وهي إصلاح حياة الناس إذ بها (التطوير) يصير الدين تبع للحياة. والعقل يقول بأن الواقع تشكله الفكرة، لا أن الفكرة تتشكل تبعاً للواقع، وثمة فرق بين الاجتهاد الذي يحترم النصوص الشرعية ويبحثها في حيدة ونزاهة، والتطوير الذي يهدف إلى تسويغ قيم الحضارة الغربية، هذا غير ذاك.

(1) – أحمد حسن الزيات تاريخ الأدب العربي (دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 2 ،د ت) ، ص20

(2) هناك نسخة مطبوعة منه نشر دار نشر الثقافة بالإسكندرية طبعة 1964م

(3) تعتبر هذه هي الفكرة الرئيسية في كتابات الدكتور محمد محمد حسين «الاتجاهات الوطنية في الأدب الإسلامي المعاصر»، «الإسلام والحضارة الغربية»، «حصوننا مهددة من داخلها».

ومما يجمل ذكره هنا قول – سميث (صاحب كتاب الإسلام في التاريخ الحديث): التحررية والعلمانية والعالمية لا تروج في العالم الإسلامي إلا إذا فُسرت تفسيراً إسلامياً مقبولاً.

خامسها: تحركوا في كل اتجاه يؤدي إلى هدفهم، وهو إقصاء الفصحى وإدخال العامية، فشارك الكتاب، وشاركت السينما تروج للعامية وتسخر من الفصحى، وظهرت مدارس أدبية تتبنى الدعوة للعامية... سلكوا كل طريق استطاعوه.

سادسها: كل جيل من الناس يكون له لغتان، لغة فصحى للعلوم والآداب، ولغة دارجة يتحدث بها الناس في معاملتهم اليومية، واللغة العامية موجودة من زمن بعيد، وتعدد اللهجات موجود من زمن بعيد، وقد رصدت هذا الدكتورة نفوسه، وبينت دراسات السابقين للعامية، ولم تمثل الفصحى بجوار العامية مشكلة في يوم ما. هؤلاء هم الذين افتعلوا مشكلةً والهدف معلن، وهو إقصاء الفصحى وقطعنا عن أصولنا، وتقطيعنا.

وتأتي الازدواجية اللغوية في العصر الحديث لتكمل مسيرة الاعتداء والإغارة على اللغة، وعلى الرغم من أن الازدواجية ظاهرة طبيعية في اللغات، فإنها في العربية ظاهرة حديثة التجلي، فالفرق بين مستوى اللغة الفصحى ومستوى اللهجات الخاصة لم يكن يومذاك يمثل وضعاً ازدواجيًا، والسبب في هذا يعود إلى أن القبائل العربية القديمة لم تكن تبتعد عن الائتلاف اللغوي للفصحى ابتعاداً كبيراً، وأما ما تلا ذلك من عصور فقد تطورت فيه العامية ونمت بصورة واسعة، مما جعل الفجوة تزداد تدريجياً بينها وبين الفصحى التي يراد لها أن تحافظ على معاييرها، وتحد من الخروج على أنظمتها إلى أقصى درجة ممكنة [1].

وقد أدرك العرب القدماء أن الفصحى ينبغي أن تقوم على شيء من التعدد المقبول الذي يراعى فيه التوسع في تعدد الأوجه المستقي من لهجات متعددة فمن غير المعقول – وقد اتخذوا من نجد والحجاز بعداً مكانياً تؤطر من خلاله قواعد الفصحى – أن يكون جميع القاطنين في هذا المكان ينتمون إلى لهجة واحدة بالمفهوم الضيق للهجة، كما يراه بعض الوصفيين، وعلى هذا أدرك المعياريون أن لأهل الحجاز ونجد لهجات متقاربة، وليسوا جميعاً على لهجة واحدة تخلو من التباين، فنجد العرب تتباين في مظاهر التعبير النحوي(كإهمال"ما" أو إعمالها) ومظاهر النطق الصوتي (تبادل السين والصاد والزاي في سقر وصقر وزفر)؛ فالعربية الفصحى قائمة على أساس ائتلاف لهجات شتى، وقد وجد العرب في تعدد القراءات القرآنية ما يعينهم على الاستشهاد بجواز وجهين أو أكثر (كما في "مالك يوم الدين" و" ملك يوم الدين")[2].

وإذن فقد جاء بناء الفصحى مرناً، من خلال كونها مجموعة ائتلافية من وجوه جائزة، وعلى هذا يكون التطور اللغوي فيها مسموحاً به ضمن هذه الوجوه.

وفي العصر الحديث تعكس الازدواجية مستويات الاستعمال اللغوي في المجتمع الواحد، ولنأخذ لذلك مثلاً من دراسة أجريت على لغة المجتمع المصري، وقد خرج صبري السيد بأن للغة أربعة مستويات في هذا المجتمع، وهو يذكر كل مستوى

(1) الموسى، الازدواجية في العربية، 86.
(2) الأنصاري، الإقناع في القراءات السبع 540/2.

مع إشارات إلى الخصائص الصوتية والدلالية والصرفية التي تميز مستوى من الآخر.

مستويات الأداء اللغوي:

مستويات أربعة [1]:

1- الفصحى التراثية المعروفة في الكتب القديمة: وهي بعيدة عن التأثر بالموضوعات المعاصرة، واستعمالها محصور بالمتمسكين بهذا النمط في الكلام عن مسائل اللغة والأمور التي مرجعها التراث.
2- فصحى العصر: وهي متأثرة بالحضارة المعاصرة على الخصوص، ومجالها أوسع من فصحى التراث؛ إذ تستوعب الحضارة الجديدة، وهو نمط يلتقي مع الأول في الجوانب اللغوية الثابتة، كالصرف والنحو، بينما يجري الاختلاف في المتغيرات من مفردات وأساليب بلاغية.
3. عامية المثقفين: يستعملها المثقفون الذين نالوا حظاً لا بأس به من التعليم، وهي عامية متأثرة بالفصحى والحضارة المعاصرة معاً، ومجالها المنتديات الثقافية والعامة ومجالس المثقفين التي تطرح موضوعات فكرية وسياسية واقتصادية اللغة الوسطي، ومن أمثلتها: خطاب زميل إلى زميله وهما يتجاذبان الحديث عن مسائل السياسة والثقافة [2].

3- عامية المتنورين: عامية متأثرة بالحضارة يستعملها العامة ممن لهم دراية واطلاع على معطيات الحضارة – ولا يشترط التعليم هنا – في وصف مشاهداتهم الاجتماعية وفي المحادثة مع الأهل والجيران والأصدقاء.

ومن أمثلة ما يميز فصحى العصر أن الأصوات الأسنانية (ث، ذ، ظ) تنطق في بعض الأحيان سيناً أوزاياً، وتنطق الجيم بصورتها الانفجارية، وفي هذا المستوى يلجأ المتكلم إلى تسكين الكلمات غالباً، ويميل إلى نطق الأرقام بالعامية لئلا يطيل التفكير في صياغتها الصحيحة.

ومن خصائص هذا المستوى أيضاً التعبير بنحو (أكفّاء بدلاً من أكفياء) و (المتوفَّى بدلاً من المتوفّي)، بالإضافة إلى استعمال الكلمات الأجنبية.

وأما عامية المثقفين فإن من سماتها الصوتية نطق كلمة (ثقيل) على إحدى الصورتين: (سقيل) أو (ثئيل)، والأغلب أن تتحول القاف إلى همزة، وأما الاسم الموصول فتحل محله لفظة (اللي) لتنوب عن الأسماء الموصولة كلها.

ومن طريق ما يرى في هذه العامية حلول صيغة المطاوعة محل المبني للمجهول فيقال: انكسر أو قد تستعمل صيغة تحاول التوفيق بين الفصيح والعامي: (بيقال).

ومن الدارج في عامية المثقفين استعمال الحاء بدلاً من السين أو سوف، واستخدام المضارع الدال على العادة أو الطبع، بإضافة اللاصقة (حرف الباء) في نحو: (بيحب الشاي) [3].

وعامية المتنورين أكثر إيغالاً في العامية ونأياً عن الفصحى، وبما أنها عامية متأثرة بالفصحى والحضارة معاً فإنها

(1) السيد علم اللغة الاجتماعي 253 – 254.
(2) الموسى، الازدواجية في العربية، 85.
(3) السيد، علم اللغة الاجتماعي 258 -263.

تحيل صوت الثاء إلى تاء (تار – تعبان – توم) أو إلى (س) (حديس، التهمة سابتة عليه)، وذلك بالعودة إلى مدى صلة الكلمة بالفصحى سواء التراثية منها أو العصرية[1].

وعلاوة على أن الازدواجية تعكس بعد (المستوى أو الفئة) في المجتمع فإنها أيضاً تحمل أبعاداً نفسية اجتماعية لا يمكن التغاضي غنها، وهنا تكون لغة الإعلانات واللافتات مجالاً خصباً لاستشفاف ما يقصد من وراء كتابتها بالعامية، أو بالعامية والفصحى معاً[2]:

مطاعم كُلْ واتهنا، كراكيب للإكسسوارات.

ومثل هذه العناوين والعبارات أصبح شائعاً في الحياة اليومية، وكأن من يكتب هذه الجمل يعي أثرها في القارئ وأنها أقرب إلى إلفه وطبيعته، كما أنها أكثر تمثيلاً للحياة العملية المعيشة دون أن يلتفت إلى أن بالإمكان جعل الفصحى هي أيضاً موضع ترحيب وتقبل دائماً من قبل المجتمع إذا كان هناك توجه موحد لاستعمال الفصحى في مثل هذه الإعلانات التجارية.

عامية الأميين: وهي اللهجات الريفية والقروية التي يتكلمها الأميون من الناس.

مظاهر تردي اللغة العربية:

هذا وينبغي الإشارة إلي أهم مظاهر تردي اللغة العربية في الوطن العربي في النقاط التالية:

(أ) فقد جُعلت اللغة العربية بعيدةً عن مسايرة العصر التكنولوجي الراهن باستيعاب المفاهيم والمصطلحات العلمية الحديثة، وظهور الدوريات والمصادر العلمية المختلفة بهذه اللغة العربية التي باتت أحيانًا أجنبيةً في عقر دارها! نتيجة إبعادها عن مجالِ التفاعل مع العلوم الحديثة المختلفة في التدريس والبحث والتأليف والترجمة.

(ب) وأما المظهر الثاني فقد برَز في استبقاء اللغاتِ الأجنبية المختلفة للتدريس في مختلف الفروع العِلْمية في مُعظَم الجامعات العربية.

(ج) مما جعَل خِرّيجي تلك الجامعات العربية ببلدان الشرق والغرب في تبعية يخجل منها الاستقلال السياسي الذي حققه الوطنيون الأحرار في تلك الديار؛ حيث أضحَوْا يُثرُون بمؤلفاتهم وأبحاثهم العلمية في شتى مجالات المعرفة – حضاراتِ تلك اللغات الأجنبية التي زاوَلوا بها تخصصاتهم العِلمية في الجامعات العربية والأجنبية (...) بمعزِلٍ عن المساهمة في عملية الإبداع العِلمي العربي الأصيل، على غرار ما تفعله كل الأمم الصغيرة أو الكبيرة في العالم؛ كالصين، واليابان، وتركيا، وإيران، وبلغاريا، واليونان، وبولونيا، والمجر، ورومانيا، وفنلندا، وفرنسا، وإسبانيا، وأمريكا، وبريطانيا، والبرتغال، وهولندا، وألمانيا، دون أن نجدَ في بقية الجامعات العربية حتى الساعة، باستثناء بعض الجامعات التي تُعَد على الأصابع.

(د) إظهار اللغة العربية في "موقف العاجز عن مسايرة التطور العلمي والحضاري، مما يشجع الأقطارَ العربية الأخرى ويضطرُّها إلى تبنِّي لغة علمية (جاهزة، لديها من موروثات الاحتلال السابق) لبناء التقدم الموهوم...، وطالما أن

(1) السيد، علم اللغة الاجتماعي 270.

(2) من عناوين الإعلانات التجارية.

العرب لا يعتمدون لغة علم واحدة (على غرار النموذج السوري) في جامعاتهم؛ حيث ما يزالون يدرسون العلوم في كل بلد بلغة المستعمر الإنجليزي أو الإيطالي أو الإسباني أو الفرنسي، فتكون النتيجة الحتمية ألا تتحقق حضارة عربية، وإعلام وصحافة موحدة على الإطلاق؛ لأن هذه المظاهر الحضارية لكي تكون عربيةً يجب أن تكونَ على مستوى كل الأقطار العربية، ولكي تكون ذات هذا الطابع العربي العام يجب أن تكون بلغة واحدة وموحدة الاستعمال على مستوى الرقعة الجغرافية، للمحسوبين على العربية، والحاملين لأسمائها، ولا يمكن أن تكون كذلك إلا باللغةِ العربية التي تجمع كل العرب، وتمثِّل أحد الأركان الأساسية لوَحدتهم المعهودة والمنشودة..." [1].

(هـ) حيث أصبح الشباب العربي يرى المستقبل المضمون في الهندسة والطب والإلكترون، أكثرَ مما هو في الآداب والعلوم الاجتماعية، نتيجة عزوفِهم عن اللغة العربية إلى لغة الحياة والمناصب، وما سيتبعُ ذلك من تعلُّم لغة الإدارة والإعلام والصحافة...، وهي مُفارَقة محزِنة ومخزية في التاريخ العربي المعاصر؛ حيث يتواصل الشباب العربي فيما بينهم "بالإنترنت" باللغات الأجنبية، تمامًا مثلما يتواصَلون مع الشباب الفرنسي أو الإنجليزي في أي بلد في العالم!

(و) ومما نتَج عن ذلك أيضًا، رسوخُ عُقدة النقص في نفوس الأجيال المتعاقبة؛ وذلك إثر رسم صورة سيئة للُّغة العربية في أذهانهم، بجعل مميزاتِها تنحصرُ في كونها لغة عاطفة، وليست لغة عقل وتحليل، ولغةَ شعر وقصص وخيال وأقوال، وليست لغة طب وعلم وهندسة وأعمال وإعلام وصحافة عالمية، وهذه الذهنيةُ السائدة لدى بعض الناشئة العربية هي معذورة فيها للأسباب المذكورة، نتيجة لهذا الوضع الشاذِّ والأعرجِ الذي توجد عليه اللغة العربية في أقطارهم كما هو مبيَّن، وهو ما يمثِّل عائقًا بعيدَ الأثر في سبيل الاستعمال المنشود للغة القومية في أدنى درجاته المقبولة؛ حيث يشتَّتُ القوى الناشئة من أبناء الأمَّة بين العقل والعاطفة، وبين الرُّوح القومية والمصلحة الشخصية، فيتذبذبونَ بين الاستجابة إلى نداء الضمير والواجب الوطني والقومي بإتقان اللُّغة العربية، وبين إلحاح الغريزة "البطنية" بإتقان اللغات الأجنبية المرهون مستقبلهم الوظيفي بإجادتها على حساب اللغة القومية!

وهذا الانفصام القاتل الذي يعيش به أبناء الأمَّة، جعل كثيرًا من المنظَّمات والاتحادات العربية تدعو إلى معالجة هذه القضية التي تمس الأمَّة في أقدس شيء تملِكه، ألا هو اللُّغة العربية؛ فقد عمَدت الدولةُ الجزائرية – مثلاً – بعد الاستقلال إلى تبنِّي سياسة التعريب؛ فقد صرَّح الرئيس الجزائري الراحل أحمد بن بلة في هذا الشأن قائلاً: "إننا إذا كنا لا نملِك بشكل كامل اللغةَ العربية، فإن هذا لا يُبعِدُنا في أن نحس أننا عرب في عمق قلوبنا...، إن التعريب لا يمكنه أن يكون إلا نمطَ حياة وتفكير، وليس هناك مستقبلٌ لهذه البلاد إلا في التعريب" [2].

(1).د. أحمد بن نعمان، واقع اللغة العربية في أجهزة الإعلام (عرض تقويمي) ، مقال على الشبكة العنكبوتية، بتصرف.

(1) Ahmed Ben bella: op – cit, pp.116 – 117.

لذا فإن الملاحِظ لمسار التعريب في الجزائر يجد بأن التعريب لقي عنتًا كبيرًا، حتى إن الطبقة المثقَّفة في الجزائر ظهر فيها توجُّهان: "أحدهما يؤمن بالتعريب، والآخر يرفض ذلك ويطالب بالازدواجية، وهذا ما فتَح المجال للمفاضَلة بين اللغتين، وطرحت مسألة أيهما أصلح للتعليم"[1].

وتدعيمًا للرأي السابق، وجدنا محمد غوري (عضو اتحاد الأطباء العرب) في مقال له بعنوان: "تعريب الطب واقع اللغات وطموحات" يقول: "لا يرتاب أحدٌ من الباحثين اللغويين، قدامى ومحدَثين، شرقيين وغربيين، في أن العربيةَ من أقدم اللغات وأقواها أصالة وأوسعها تعريفًا؛ فهي مَرِنة مِطواعة، تلبِّي أدقَّ مطالب العلوم، وخاصةً منها العلوم الطبية بألوان اشتقاقاتها، وأنواع صيغها، أسماءً وأفعالاً وصفات، وباستعدادها الأصيل للاقتباس والتعريب لكل لفظ دخيل من ألفاظ الحضارة والفنون والعلوم...

إن اتحادَنا قد حمل فكرة تعريب الطب منذ إنشائه سنة 1982م؛ فمؤتمراتنا الطِّبِّية التي تقام في وسط أوروبا تَرفَع شعار: "العربية لغتنا"، جمعيتنا الطبية هي الأولى من نوعها بمقالاتها العلمية والطبية والتخصصية ناطقة بالعربية، ورفع الاتحاد مذكرات عديدة إلى وزراء الصحة العرب، وإلى نقابات الدول العربية، وكذلك إلى منظِّمي المؤتمرات الطبية في الأقطار العربية، مذكرًا إياهم بأن الطبَّ في العالم كله يدرَّس بلغة بلده الأصلية؛ فاليونان والألبان والبولونيون وحتى أرمينيا وفي دولة طاجكستان... كل يدرس بلغته القومية؛ فلِمَ إذًا ندرس العلوم الطبية في بلادنا باللغة الفرنسية أو الإنجليزية؟ وطالب الاتحاد كافة المنظمات المعنية بوضع حدٍّ لهذا الانهزام الحضاري [2].

يضاف إلى ما سبق ما يأتي: –

أولا: غياب القرار السياسي الشامل والموحد بين جميع الدول العربية دون استثناء، والذي يكفل حماية اللغة العربية وصونها والتزامها في الوزارات المختلفة وفي المؤسسات التعليمية والإعلامية والثقافية والأدبية، وذلك يوحي بغياب أو تغيب أهمية اللغة لدى القادة والمسئولين أو لدى بعضهم، وعدم إدراكهم لواجبهم تجاه لغتهم بوصفها عامل من عوامل الوحدة والقوة، وحمايتها واجب وطني وقومي وديني.

ثانياً: عدم العناية بإنشاء مراكز ومعاهد ثقافية عربية في الأقطار الإسلامية والبلدان المختلفة تسهم في نشر العربية وثقافتها، وذلك تأخر واضح من القادة والمسئولين في الوطن العربي عن القيام بواجبهم تجاه لغة القرآن.

ثالثاً: القصور في إعداد المناهج الدراسية الخاصة باللغة العربية، وتختلف الوسائل والأساليب والطرق المستخدمة في تدريسها.

(1). محمد المنجي الصيادي: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت: 1980، ص 164.

(1) الدكتور محمد غوري (عضو اتحاد الأطباء العرب)، تعريب الطب واقع اللغات وطموحات.

رابعاً: أن كثيراً من مربي الفصول أو معلمي الصفوف التمهيدية والابتدائية في كثير من الدول العربية هم من المعلمين الأقل كفاءة وهي سياسة خاطئة انتهجتها بعض الجهات والمؤسسات التعليمية حين دفعت بمعلمين غير أكفاء أو من قليلي الخبرة أو من أصحاب المؤهلات البسيطة لتدريس المرحلة الابتدائية، في حين حصرت المدرسين ذوي الخبرة والكفاءة والمؤهلات العالية في تدريس الصفوف العليا من المرحلة الثانوية ظناً منهم أن ذلك إجراءً سليماً ويتناسب مع المرحلة الدراسية، ومع صعوبة المواد الدراسية ونسيت أو تناست أن المرحلة الدراسية الأولى (الابتدائية) هي من أهم المراحل وأخطرها، فهي مرحلة البناء والتأسيس وتحتاج لخبرات عالية وكفاءات تدريسية متميزة تستطيع أن تتعامل مع الطفل وتركز على الجوانب القرائية والكتابية وفق أسس علمية صحيحة وتشجعه على العلم والمعرفة، وتعرف كيف تشبع حاجات الطفل وتنمي قدراته بتهيئته نفسياً من جهة، ثم تزويده بالعلم والمعرفة وطرق التفكير الصحيح من جهة ثانية، فيكتمل بناؤه نفسياً وعلمياً ويقترن تحصيله العلمي مع الكفاءة العالية، وبذلك يبني بناءً صحيحاً لا سيما في جانبي القراءة والكتابة؛ لأنهما الأساس في البناء اللغوي والعلمي، فإذا تجاوز هذه المرحلة بنجاح فإن ثقته بنفسه تزداد ويزداد رغبة في طلب العلم والتحصيل الدراسي، فهناك ارتباط وثيق بين التخلف الدراسي في المرحلة الابتدائية وبين العجز في اللغة العربية (وحين يعالج التخلف في اللغة فإن الطفل يخطو خطوات سريعة موفقة نحو التحسين في المواد التي كان متخلفاً فيها)[1] بعكس الطالب الذي يفتقر إلى هذا الإعداد والتأهيل فإنه ينتقل إلى الصفوف العليا ولديه الكثير من القصور والضعف فينعكس ذلك في نفسه شعوراً بالخيبة والفشل ويشعر بصعوبة في التحصيل العلمي وتزداد الصعوبة كلما تدرج نحو الصفوف العليا، وكل ذلك سببه فشل المربين والمعلمين في إعداد وتأهيل الطلبة في الصفوف الدراسية الأولى؛ لأنهم ليسوا من ذوي الخبرات والكفاءات.

خامساً: إسهام بعض معلمي اللغة العربية في تعقيد مادة اللغة العربية أثناء تدريسهم لها لاسيما مادة النحو مما يجعل الطلبة ينفرون منها بوصفها مادة صعبة ومعقدة فيزداد إهمالهم ونفورهم عنها وكرههم لمطالعتها مما يسهم في ضعفها على ألسنتهم وفي كتاباتهم وتعبيراتهم.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك ضآلة حجم مفردات مقرر اللغة العربية في مناهج التعليم وقصور تلك المفردات عن تقديم العربية وإظهارها بصورتها الحقيقية بما فيها من جمال وبما لها من جلال، فالتعليم الجيد للغة هو بمثابة الغذاء اللازم لما يسمى شعور الانتماء الذي يربي في عقول الناشئة ويغرس في أعماق نفوسهم حب الأمة والاعتزاز بلغتها والعمل على قوتها ونهضتها، فما يقدم من مفردات في منهج اللغة العربية بجانب المقررات الأخرى ما هي إلا نماذج ضئيلة لا تفي العربية قدرها ولا تمنحها حقها من القيمة والأهمية، ولا تنمي شعور الاعتزاز بها عند المتعلم منذ المراحل الأولى، بل إنها لا تعكس إلا صورة متواضعة مخجلة في نفوس المتعلمين، ولذلك فقد بقيت مجرد مادة يدرسها الطالب ليجتاز الامتحان مثلها مثل أي مادة تكميلية أو ثانوية، وهذا لا يليق بتلك اللغة المجيدة ولا بمكانتها التاريخية أو قيمنا الحضارية.

(1) رضوان محمد محمود، بحوث مؤتمر تطوير العربية.

سادساً: سوء توظيف بعض قوانين وسياسات القبول في الجامعات، ومما يثير الدهشة والاستغراب أن تجد لعض قوانين التعليم في ما يخص سياسة القبول لاسيما في الجامعات اليمنية تكرس هذا المفهوم الخاطئ وترسخ النظرة الانتفاضية للغة العربية، ومما يدل على ذلك أن الطالب الراغب في الالتحاق بالجامعة يخضع لامتحان قبول إذا كان سيلتحق بقسم اللغة الإنجليزية أو أحد التخصصات العلمية أما التخصصات الأخرى كاللغة العربية والتاريخ والجغرافيا مثلاً فأبوابها مفتوحة دون قيد أو شرط مما يجعل نصيب هذه الأقسام من الطلاب الملتحقين بالجامعة هم: المتردية والنطيحة وما أكل السبع، وهنا تبقى اللغة العربية بحكم هذه السياسة الخاطئة في القبول مهددة بمزيد من التدهور والضعف لاسيما إذا كانت مخرجات قسم اللغة العربية من هذه العينة ممن سيتولون مهمة تربية الأجيال وتنشئتهم وتعليمهم، ومن هنا نكون قد أسهمنا من حيث لا ندري أو من حيث ندري في مضاعفة الأزمة التي تعانيها لغتنا العربية في واقعنا اليوم.

ولا شك أن (تقوم اللغة العربية والشعور بعقدة النقص وسيطرة الأجنبي تعد من أهم العوامل التي أدت إلى ضعف شخصية الفرد العربي واستسلامه للهزيمة والانتقاص من شأن لغته الأم وتخليه عن كل ما هو عربي أصيل) [1] فالإنسان العربي (يعيش اليوم أزمة هروب من الذات وينغمس في حالة تغريب عن أصالته ووجوده فانعكست الأزمة سلباً على الواقع اللغوي ووصمت اللغة بالعجز والقصور عن مواكبة التطور العلمي والحضاري) [2].

ومما يبعث على الأسى والأسف أن تجد هذا الاعتقاد وهذه النظرية الدونية إلى اللغة العربية ومتخصصيها حتى عند بعض رجالات العلم أو الأساتذة الجامعيين لاسيما من غير المتخصصين بها وكأن اللغة العربية ليست بذات أهمية ولا تمت لهم بصلة وأنهم بعيدون عنها ومستغنين عن وظيفتها بما لديهم من علوم وليسوا مكلفين بإتقانها أو تمثلها في حياتهم العلمية ولا العملية ناسين أو متناسين اللغة العربية لا يستغنى عنها باحث عربي نابه مهما كان تخصصه بعيداً عنها، إذ هي وعاء لعلمه وفكره وثقافته، فهي لغة بحثه وسلاسة أسلوبه ودقة تعبيراته في عرض موضوعه ووصف نتائجه التي توصل إليها.

سابعاً: المبالغة في الدعوة إلى الاهتمام باللغة الأجنبية بوصفها – بحسب زعم بعضهم – لغة العلم والإبداع، فهي لغة تواكب التقدم العلمي والحضاري بل إنها طريق لارتقاء المناصب العالية وشغل الوظائف المهمة، وهو زعم باطل يثير الدهشة والاستغراب، بل إن مما يزيد الأمر غرابة ويضاعف في النفس الأسى والحسرة أن تجد بعض الجامعات العربية تدرس طلبتها باللغة الأجنبية حتى في بعض المقررات والمواد الإنسانية [3]

(1) بن طوية عمر، اللغة العربية وتحديات العولمة: ص 72.

(2) ناصر، مها خير بك، اللغة العربية في ضوء النحو العربي والمنطق الرياضي ص 100.

(3) ينظر: دحيات عيد، اللغة العربية وهوية الأمة في مؤسسات التعليم العالي في الأردن.

ثامناً: تأخر مجامع اللغة العربية في الوطن العربي عن متابعة القيام بدورها في ترجمة أو تعريب المصطلحات الأجنبية في مجال العلوم والفنون والصناعات.

صحيح أن هناك جهوداً حثيثة قد بذلت في سنوات ماضية من مجمع اللغة في القاهرة ومجمع اللغة في دمشق فضلاً عن الجهود الفردية التي أثمرت عن صدور بعض المعاجم، كان الهدف من كل ذلك مواجهة المصطلحات الأجنبية وترجمتها أو تعريبها، إلا أن هذه الجهود لم تستمر بالقوة والحماس اللذين كانا في البداية، فكانت النتيجة أن أصيبت المجامع اللغوية بالركود ولم تستطع ملاحقة المصطلحات التي تزداد يومياً وبشكل كبير مع التقدم العلمي والتكنولوجي، فأصبح من الصعب مواجهة هذا السيل من المصطلحات الوافدة من جهات شتى ولغات مختلفة، مما جعل كثيراً من المصطلحات الأجنبية لا تجد لها ما يقابلها في العربية، فتصبح هي السائدة وهي الشائعة على الألسن وهي المستخدمة في الواقع العلمي والثقافي للمجتمع العربي، لاسيما أن الحاجة إلى التعبير عن مقتضيات الحياة الحديثة ومتطلباتها قد يدفع البعض إلى استعمال المصطلحات الشائعة دون أن يشعروا بأصولها[1] فيكون ذلك عاملاً من عوامل الحضارة العربية، ومدخلاً خطيراً لاتهامها بالقصور والضعف والتخلف وهي بريئة من هذه التهمة؛ لأننا نحن الذين تخلفنا عن ركب الحضارة الإنسانية وضعف سعينا نحو التقدم علماً وثقافة ومدنية، بل قد حرصنا واعتزازنا بلغتنا ووعينا بأهميتها، لذلك تأخرنا عن توظيفها حين قصرنا في دورنا عن ترجمة الوافد وتعريبه والاشتقاق له من جذورها الأصيلة المتجددة القادرة على استيعاب كل جديد، وشواهد التاريخ تؤكد ذلك.

جعل مستقبل لغتنا أفضل، وسُبُل النهوض باللُّغة العربية:

لا شك بأن اللغةَ العربية تحمل في ذاتها وسائلَ قوتها، وعوامل حياتها، بل هي اللغةُ التي حملت معانيَ الكتاب الحكيم، وكانت وسيلةً طَيِّعة في أيدي العلماء الباحثين من أسلاف هذه الأمَّة؛ ولهذا وجَدْنا (رنست رينان) يقول: "اللغةُ العربية بدأت فجأة على غايةِ الكمال، وهذا أغربُ ما وقَع في تاريخ البشر، فليس لها طفولةٌ ولا شيخوخة"(2).

ولا سبيلَ إلى نهضة الأمَّة واسترداد عافيتها ودورها الرسالي إلا إذا بوَّأتِ اللغةَ العربية مكانتَها السامقة في سُلَّم الأولويات المعرفية في التربية والتعليم والإعلام والثقافة والإدارة والشؤون الدولية، وصلاً بين حقيقة الدِّين ونسيج اللغة وحصاد العصر، وبناءً للأجيال الحاضرة والقادمة في ضوءِ تلك المعطيات الثلاث.

وأكبَر الظنِّ أن ذلك ليس أمرًا خارقًا ولا مستحيلاً، رغم العقبات الكؤود التي لا يجوزُها إلا أهلُ البصائر واليقين المبدئي والعِلم الراسخ، ورغم الفتنة الحضارية التي تلبَسُ مُسوحَ "العِلم" و"الحرية" و"العدالة"، ويروج له دعاةُ النظام العالمي الجديد بأُنموذَجِه القطبي الواحد في الثقافة والعولمة، وأنماط الاستهلاك والأسواق الحُرَّة، والقِيَم البرجوازية، وغير ذلك من المفاهيم الدِّعائية، والمصطلحات الفضفاضة.

(1) ينظر: السامرائي إبراهيم، اللغة والحضارة ص 14.

(2) رنست رينان، مفكر غربي.

ولكي نعيد للغة العربية اعتبارها ونعليها في نفوسنا حتى تسمو في واقعنا لابد من جهود شاملة شعبية ورسمية فردية وجماعية، والجهود على المستوي الرسمي تتمثل فيما يأتي:

1-أن يكون هناك قرار سياسي موحد لجميع الدول العربية تحت مظلة جامعة الدول العربية يهدف إلى حماية اللغة العربية والحفاظ عليها بوصفها عاملاً مهماً من عوامل الوحدة وأهم مقوم من مقومات الدولة الحديثة، ويكون هذا القرار شاملاً كل المجالات: التعليمية بمراحلها المختلفة، والإعلامية بوسائلها المتنوعة، والثقافية بأدواتها ومنتدياتها، والأدبية باتحاداتها وأدباءها وكتابها، وغير ذلك من نقابات ومنظمات، ومؤسسات مجتمع مدني ... وأن يكون هناك تفاعل وتكامل واستشعار الخطر من جميع الدول العربية دون استثناء والعمل بروح الفريق الواحد من أجل تحقيق هذا الهدف الأسمى الذي يهمنا جميعاً كعرب؛ لأن الجهود الفردية التي تقتصر على قطر عربي أو بعض الأقطار قد لا تؤتي ثمارها الشاملة بدليل أن هناك قوانين وقرارات قد صدرت في بعض الأقطار العربية مثل: العراق وتونس وليبيا والجزائر دعت إلى العمل على سلامة العربية والحفاظ عليها[1]، وهي وإن كانت جهوداً طيبة ومسئولة لكنها بقيت جزئية ومقصورة على هذا القطر أو ذلك، وكذلك محدودة التنفيذ بسبب قصور الوسائل، وربما أن الأحداث التي مرت بها هذه الأقطار قد انتهت بهذا المشروع إلى الإهمال أو النسيان.

2-تكريس الاهتمام باللغة العربية في وزارات الدولة والمؤسسات الحكومية الإعلامية والثقافية والتعليمية والحرص على تمثلها كتابة ونطقاً في الخطابات الرسمية والمحاضرات العلمية والندوات الثقافية والاحتفالات الجماهيرية والخطابات الدينية وتشجيع ممارستها من قبل القادة والمسئولين في مؤسسات الدولة المختلفة حتى يكونوا قدوة في تمثل اللغة العربية في لقاءاتهم واجتماعاتهم ومناقشاتهم وخطابهم وبحيث تكون اللغة العربية وإجادتها من ضمن معايير الكفاءة فضلاً عن إلزام العاملين في المؤسسات الإعلامية بممارسة اللغة الفصحى فيما يقدمون من برامج مختلفة.

3-إنشاء مراكز ومعاهد ثقافية في الأقطار الإسلامية والبلدان المختلفة لتقديم الدورات والندوات والبرامج والكتب والمراجع التي تسهم في نشر اللغة العربية والثقافة العربية، لما لذلك من أثر في توسيع دائرة انتشارها، فلغتنا ليست أقل شأناً من الفرنسية أو الألمانية أو الإنجليزية التي تنتشر مراكزها الثقافية في كل مكان، بل هي أسمى وأرقى وأهم لأنها لغة الجمال بل هي لغة القرآن، ولذلك فهي تستحق منا كل اهتمام وتقدير وأن نبذل من أجلها كل غال ونفيس.

4-إعادة النظر في المناهج الدراسية الخاصة باللغة العربية، والعناية باختيار موادها ومفرداتها بحيث تشبع حاجات المتعلم وتجذب انتباهه وتعكس جمال العربية ورقيها وتحببها إلى نفوس الناشئة، فالحب هو الطريق الأشد ضمانا، والأسهل لامتلاك القلوب والعقول، والطالب إذا أحب العربية من خلال ما يتعلمه من مفرداتها فإنه سيزداد بها اهتماما ومنها تزوداً وفيها تعمقاً وعليها حفاظاً ولها إخلاصاً ووفاءً.

(1) ينظر: زاهد زهير غازي، سلامة اللغة العربية وأثرها في المناهج المدرسية.

5-إعادة النظر في اختيار مربي الفصول أو معلمي الصفوف الأولى بحيث يتم اختيارهم بعناية من ذوي المؤهلات والخبرات والكفاءات، ولا بأس من تحسين رواتبهم أو تمييزهم عن غيرهم حتى يكون ذلك دافعاً لهم لشغل هذه المواقع وعدم النفور منها؛ لأن تدريس الصفوف الأولى يحتاج إلى كثير من الجهد والاهتمام والصبر والعناء فضلاً عن الخبرة والكفاءة والمقدرة العالية في التعامل مع الطفل، فالطفل بحاجة إلى مراعاة وتفهم وتشجيع وتوظيف كل ما أمكن من وسائل وأساليب تربوية ونفسية في سبيل تحقيق الأهداف المنشودة من حيث إعداده وتشكيله وتأهيله واكتشاف طاقاته وتنمية قدراته ابتداء من الخط والإملاء مزوراً بحسن التعبير وصولاً إلى تنمية التفكير السليم والذوق الجميل، وبهذه الحالة نكون قد خطونا الخطوة الأولى في الاتجاه الصحيح، ووضعنا اللبنة الأساسية في بناء الأجيال وتصحيح العملية التعليمية للحد من ضعف وتدهور اللغة العربية في أوساط المتعلمين وعملنا على تحسين أدائهم اللغوي كتابة ونطقاً تمهيداً لتطويرهم نحو الإبداع في المراحل الدراسية اللاحقة.

6-إعادة النظر في طريق ووسائل وأساليب تدريس مواد اللغة العربية لاسيما مادة النحو التي يقدمها بعض المدرسين منفصلة أو في معزل عن بقية فروع اللغة العربية فتتحول إلى مادة جافة ومعقدة بل إن القواعد النحوية تصبح أشبه بقوانين رياضية يحفظها الطالب عن ظهر قلب لكنه لا يمارسها ولا يستطيع تطبيقها في ما يكتبه أو ينطقه؛ لأن كثيراً من مدرسي النحو يستخدمون طريقة خاطئة في تدريس القواعد النحوية وشرح أمثلتها حين يقومون بتفكيك الجملة العربية إلى مفردات (الفاعل أو المفعول مثلاً) دون توضيح المعنى الوظيفي الذي يفهم من التركيب لا من الألفاظ المفردة في حين أن الغاية من الإعراب هو الكشف عن العلاقات السياقية (القرائن المعنوية) بين الألفاظ[1]، ونتيجة هذا الأسلوب الخاطئ الذي يعتمد عليه كثير من مدرسي النحو تصبح القواعد مفرغة من قيمتها، إذ ليست العبرة في حفظ واستظهار القاعدة النحوية وغنما العبرة في تطبيقها والتزامها في ما يمارسه الطالب نطقاً وكتابة من خلال معرفة العلاقة بين الألفاظ المتجاورة في السياق، ومن هنا لابد من إعادة النظر في طريقة تدريس النحو.

7-تركيز العناية والاهتمام بدرس التعبير لاسيما في الصفوف الإعدادية والثانوية من أجل تنمية القدرة لدى المتعلمين وإكسابهم المهارة في ممارسة اللغة واستخداماتها وتوظيفها التوظيف الأمثل في نطقهم وكتاباتهم وفقاً للقواعد الصحيحة الفصيحة، فاللغة ليست مجرد كلمات تنطق أو تكتب، وإنما هي (قضايا مفيدة دالة والقضية حكم ومتى قلنا بالحكم فقد قلا بالربط الفكري[2]، أي أن اللغة نظام متناسق للتعبير عن العلم والفكر والوجدان، والمهارة اللغوية ليست مجرد معرفة الطالب بقواعد اللغة وقوانينها أو حفظها واستظهارها، وإنما هي ممارسة وتطبيق لتلك القواعد والقوانين في واقعه وفي تعبيره نطقاً وكتابة، والإحساس بها وتذوقها في شعوره ووجدانه، وصولاً إلى مرحلة الإبداع الفني والأدبي باستخدام ما فقهه من أسرار العربية وما حذفه من دقائقها ولطائفها الجمالية.

(1) ينظر: حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها ص 181.
(2) ينظر: أمين عثمان – في اللغة والفكر. ص 20.

8-التشديد على ضرورة استخدام اللغة العربية الفصحى والالتزام بممارستها في قاعات الدرس من قبل المعلمين في المدارس والأساتذة في الجامعات، وتعويد طلبتهم على الحوار والمناقشة باستخدام اللغة الفصحى؛ لأن ذلك يزيد من إحساس المتعلمين بأهمية اللغة العربية، وبالتالي يساعدهم على اكتساب مهارة استخدامها من خلال استماعهم المستمر للغة السليمة الفصيحة على ألسنة أساتذتهم من جهة، ومن خلال محاولاتهم المتكررة لممارسة الفصحى في حوارهم ومناقشاتهم من جهة ثانية، فتقل أخطاؤهم تدريجياً وتتعود ألسنتهم على النطق السليم ويتكون عندهم ما يعرف بالسليقة اللغوية، ومن هنا لا يجد الطالب حرجاً في استخدامها ولا صعوبة في ممارستها، وبذلك نسهم في تقوية الفصحى وشيوعها على ألسنة المتعلمين.

9-تشجيع الطلبة في المدارس والجامعات على استخدام اللغة الفصحى وتمثلها فيما يقومون به من فعاليات وأنشطة علمية أو ثقافية وإعلامية مصاحبة.

ومن ذلك ما يقيمه طلبة الجامعة من فعاليات أو ندوات علمية أو ثقافية وما يلقيه طلبة المدارس من كلمات أو خطابات أو فقرات في طابور الصباح؛ لما لذلك من أهمية في تنشيط اللغة العربية الفصحى وتوسيع دائرة الاهتمام بها وترسيخها في أذهان المتعلمين.

10. تشجيع الأبحاث والدراسات التي تتميز بجودة اللغة العربية وحسن الأسلوب فضلاً عن التميز العلمي، وذلك في التخصصات المختلفة حتى يكون حافزاً للدارسين والباحثين على الاهتمام بأسلوبهم في الكتابة والعرض وفق معايير العربية وأساليبها السهلة الجميلة.

إلزام طلبة الدراسات العليا الدارسين في الجامعات العربية بامتحان كفاءة في اللغة العربية، ويكون ذلك شرطاً أساسياً لا يقل أهمية عما تشترطه الجامعات على طالب الدراسات العليا من الحصول على ما يسمى بـ (التيوفل) أو الكفاءة في اللغة الإنجليزية، إذ كيف يجوز أن تشترط تلك الجامعات امتحان الكفاءة في اللغة الإنجليزية ولا يسري ذلك على اللغة العربية وهي الأهم، لا سيما أن ذلك يتم مع طالب عربي وفي بلد عربي؟

خلاصة ورؤية:

أن للغة العربية جوانب عدة من الأهمية العلمية والثقافية والدينية والتاريخية والجغرافية واللغوية والسياسية، تكمن أهميتها العلمية والثقافية كونها المركبة التي حملت البشرية إلى التقدم والمدنية وفي إقبال البعثات العلمية من مختلف الأقطار إلى العالمين العربي والإسلامي، وتكمن أهميتها الدينية في كونها لغة القرن الكريم والدين الإسلامي، كما تكمن أهميتها اللغوية في كونها لغة ناضجة من جميع الجهات وقادرة على التعبير عن دقائق المشاعر الإنسانية، ومؤثرة كذلك على الكثير من اللغات العالمية بما فيها الإنجليزية والفرنسية، وتكمن أهميتها الجغرافية في انتشارها في رقعة واسعة من الأرض وكونها اللغة السادسة في العالم من حيث عدد المتكلمين بها كلغة أم، أما الأهمية السياسية فتكمن في كونها لغة رسمية للبلاد العربية

ولغة معمولاً بها في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة[1] اللغة العربية كأي لغة أخرى تحتاج إلى الحماية والرعاية من قبل الفرد والمجتمع والدولة، إلا أن التحديات والأخطار لا تحيط باللغة العربية فقط كما يتصوره البعض، فركزوا تبعاً لذلك على التحديات اللغوية في أبحاثهم وقدموا المقترحات في المجال اللغة فقط، بل إن التحديات والأخطار التي تواجه اللغة العربية ليست إلا نتيجة لأخطار جذرية أخرى تهدد الإنسان العربي قبل اللغة العربية.

فإلى جانب كل ما ذكرناه من الاعتراف بضرورة حماية اللغة العربية أمام هذه التحديات، يجب أن لا ننسى أن الحل الأساسي يكمن في تغيير الواقع الأليم الذي يعيشه الإنسان العربي، فمعظم التوصيات والحلول المقترحة في حماية اللغة، ليست إلا حلاً مرحلياً يسد جزئياً النقص الذي تعانيه اللغة العربية، أما الحل الجذري فمرهون بتقدم الأمة وازدهارها، فإذا أردنا حماية اللغة العربية لابد من العمل الدؤوب في سبيل التقدم العلمي والثقافي أولاً، حتى تكون اللغة العربية لغة العلوم والرياضيات والطب مرة أخرى كما كانت سابقاً وحتى تؤم البعثات العلمية من جديد مراكز العلم في البلدان العربية والإسلامية من مختلف الأقطار، وهذا طموح ليس مستحيلاً وإن يبدو صعباً.

فملخص القول أن ما حدث للغة العربية من تراجع أمام اللغات الأجنبية واللهجات العامية ليست إلا نتائج وآثار للتحديات التي هي أكثر عمقاً وأعظم خطراً وأشد تأثيراً على الشعوب العربية قبل اللغة العربية، ألا وهي انطفاء جذوة الإبداع الإنتاج عند العرب وفقدان الرغبة في التحدي، وضعف العزيمة على البناء ومواجهة الصعوبات، بناءً على ذلك أقترح على المجلس الدولي للغة العربية وجميع المنظمات الدولية والإقليمية والوطنية والمؤسسات الحكومية والتعليمية، أن يواجهوا هذه التحديات في حماية الإنسان العربي والأمة الإسلامية للخروج من هذا الواقع الأليم الذي يعيشه، ففي الخروج عن هذا الواقع دفاع عن العرب والمسلمين أولاً واللغة العربية ثانياً.

* إن اللغة العربية من حيث هي لغة لا خوف عليها من الزوال أو الاندثار لسبب بسيط هو أن الله جل وعلا قد تكفل بحفظها بوصفها لغة القرآن حين قال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2] فهي باقية ببقاء القرآن الكريم، صحيح أنها قد تمر بفترات ضعف أو انحسار تبعاً لظروف الأمة لكنها تعود إلى سابق مجدها ونهضتها حين يعود أبناؤها إلى الاهتمام بها وتوظيف طاقاتها وإمكاناتها المتأصلة فيها، وإذا كان هناك من خطر فليس على اللغة العربية نفسها وإنما على أبنائها الناطقين بها، فحين تضعف على ألسنتهم وتغيب عن واقعهم العلمي والثقافي يكون ذلك دليلاً على ضعفهم وتخلفهم بين الأمم، بل يكون دليلاً على احتقارهم لذواتهم وانسلاخهم عن هويتهم وانتمائهم العربي الأصيل، وإذا كانت اللغة العربية أحد عوامل الوحدة وأحد أسباب القوة والنهضة العربية فإنه بدونها لا يتحقق شيء من ذلك ولا يمكن أن يتحقق المجد والعزة والكرامة لأي أمة ما لم تكن تحترم لغتها وتعتز بها.

* إن اللغة العربية وإن كانت تتعرض لهجمات شرسة من قبل أعداء الأمة في الخارج تهدف إلى إقصائها وتهميشها ومحاربتها ومحاولة التقليل من شأنها والحط من قدرها في نفوس أبنائها

(1) ينظر: هل اللغة العربية في خطر حقاً – د. صادق عسكر – أستاذ مساعد في كلية اللغة العربية وأدبها بجامعة سمنان الإيرانية.

(2) سورة الحجر: آية 9

تمهيداً لطمس معالمها وسلخ الأمة عن آثارها وترائها؛ فإن ذلك ليس بجديد، بل هو هدف يسعى الاستعمار لتحقيقه منذ زمن بعيد لكنه لن يتحقق ما دام في هذه الأمة نبض من عزة وكرامة عربية، ثم إن هذا التهديد الخارجي ليس بأخطر على الأمة من التهديد الداخلي الذي يأتي من أبناء جلدتها ليستهدف العربية ويمعن في إهمالها والتقليل من شأنها.

هذا وبالله التوفيق ونسأل الله القبول.

المصادر والمراجع

- أمين عثمان في اللغة والفكر– معهد البحوث والدراسات العربية– القاهرة 1967م.
- حسان تمام– اللغة العربية معناها ومبناها– دار الثقافة الدار البيضاء– المغرب 1994م.
- ابن طرية عمر– اللغة العربية وتحديات العولمة– مجلة الآداب واللغات– جامعة قاصدي مرياح– الجزائر– العدد السابع– مايو 2008م.
- رضوان محمد محمود– مؤتمر تطوير العربية– الخرطوم 1976م.
- دحيات (عيد) الكيلاني (إبراهيم) أبو عودة– اللغة العربية وهوية الأمة في مؤسسات التعليم العالي في الأردن (ندوة في الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني) جمادى الآخرة 1428هـ حزيران 2007م.
- زاهد زهير غازي– سلامة اللغة العربية وأثرها في المناهج المدرسية– مجلة مجمع اللغة الأردني– العدد: 78.
- السامرائي إبراهيم– من مسيرة العربية الحضارية– مجلة مجمع اللغة العربية الأردني– العدد 60.
- ناصر مها خير بك– اللغة والعولمة في ضوء النحو العربي والمنطق الرياضي– مجلة التراث العربي– مجلة فصلية تصدر عن اتحاج الكتاب العربي– دمشق العدد 102– نيسان 2006م– ربيع ثان 1427هـ.
- الأنصاري أبو جعفر (ت: 540هـ)– الإقناع في القراءات السبع– تحقيق عبد المجيد قطامش– ط جامعة أم القرى.
- بشر كمال 1997م– علم اللغة الاجتماعي– مدخل ط 3–دار غريب للطباعة والنشر– عمان.
- السيد صبري إبراهيم 1995م– علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه– دار المعرفة– الإسكندرية.
- الموسى نهاد 1984م– اللغة العربية وأبناؤها– أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية– ط 1– دار العلوم– الرياض.
- أنيس إبراهيم– دلالة الألفاظ– الطبعة الخامسة– القاهرة– مكتبة أنجلو مصرية– 1984.

- الدبسي رضوان بن خليل– لغتنا العربية تتلألأ حضارة وعلماً في الفكر العالمي– كتاب المؤتمر الدولي للغة العربية– 877/4 – 880 – بيروت 2012.
- عدنان سعيد– العربية في ميدان العلم– كتاب المؤتمر الدولي للغة العربية– 191/2-193– بيروت 2012.
- الأستاذ الدكتور فرحان السليم، اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، مقال منشور في الشبكة العنكبوتية.
- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، اللغة والأمة.
- الدكتور علي القاسمي، مجلة الفوانيس.
- تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر» نسخة مطبوعة نشر دار الثقافة بالإسكندرية طبعة 1964م.
- شارل ديغول: مذكرات الأمل، منشورات عويدات، بيروت، دون تاريخ.
- واقع اللغة العربية في البلدان الإفريقية، مقال منشور في الشبكة العنكبوتية.
- حافظ إبراهيم، الديوان.
- د. أحمد بن نعمان، واقع اللغة العربية في أجهزة الإعلام (عرض تقويمي)، مقال على الشَّبكة العنكبوتية.
- صحيفة "المجاهد" الجزائرية الصادرة بتاريخ: 1996/09/24م.
- الشيخ عبد الحميد بن باديس، قانون الثامن مارس المشؤوم، مجلة البصائر الجزائرية، ع سنة 1939م.
- د. أحمد بن نعمان، واقع اللغة العربية في أجهزة الإعلام (عرض تقويمي)، مقال على الشبكة العنكبوتية.
- محمد المنجى الصيادي: التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت: 1980.
- "أوضاع المسلمين في الجنوب الإفريقي في العقدين الأخيرين"، أعمال المؤتمر الدولي، الإسلام في إفريقيا، الكتاب العاشر، جامعة إفريقيا العالمية – السودان.
- الدكتور محمد غوري (عضو اتحاد الأطباء العرب)، تعريب الطب واقع اللغات وطموحات.
- عثمان، عبد الرحمن أحمد، مصطفى، أحلام عبدالرحيم أحمد (2006):"تحديات الإسلام والمسلمين في إفريقيا المعاصرة"، أعمال المؤتمر الدولي، الإسلام في إفريقيا، الكتاب العاشر، جامعة إفريقيا العالمية – السودان.

- أبو بكر، يوسف الخليفة (2006): "اللغة العربية في إفريقيا"، في "اللغات في إفريقيا مقدمة تعريفية"، جامعة إفريقيا العالمية – السودان.
- جاه الله، كمال محمد (2006): "وضع اللغة العربية في دول القرن الإفريقي"، أعمال المؤتمر الدولي، الإسلام في إفريقيا، الكتاب الثالث، جامعة إفريقيا العالمية – السودان.
- سالي، إبراهيم علي (2006): "وَضْع اللغة العربية في المؤسسات التعليمية الحكومية بأوغندا: جامعة ماكيريري أنموذجًا"، أعمال المؤتمر الدولي، الإسلام في إفريقيا، الكتاب الثامن، جامعة إفريقيا العالمية – السودان.
- جاه الله، كمال محمد (2006): "وضع اللغة العربية في دول القرن الإفريقي"، ص 243.
- زيدي، عيسى الحاج (2006): "تطور التعليم الإسلامي في زنجبار، دور المنظَّمات الإسلامية غير المحلية في إحياء التعليم الإسلامي ما بين 1972م – 2006: تحدياتها وإنجازاتها"، أعمال المؤتمر الدولي، الإسلام في إفريقيا، الكتاب السابع، جامعة إفريقيا العالمية – السودان.
- سيسي، عبد الرحمن عبد الله (2006): "وَضْع اللغة العربية في جمهورية مالي"، أعمال المؤتمر الدولي، الإسلام في إفريقيا، الكتاب الثامن، جامعة إفريقيا العالمية– السودان، ص 383 –رنست رينان، مفكر غربي.
- رنست رينان، مفكر غربي.
- and Nation Building: Language and Education in Eritrea", Journal of Multilingual and Multicultural Development, Vol.20, No.6, 1999,p.489.
- Ahmed Ben bella: op - cit, pp.116 - 117.
- ."http://www.11c11.com/vb/showthread.php?t=7086.